القفطى ومنهجه فى الكتابة التاريخية

(٥٦٨-٦٤٦هـ/١١٧٢-١٢٤٨م)

دكتور
السيد طه السيد
مدرس التاريخ الاسلامى
كلية الآداب بقنا - جامعة أسيوط

ولد جمال الدين على بن يوسف القفطى بمدينة قفط سنة ٥٦٨ هـ،(١) بعد زوال حكم الفاطميين بعام، وكان صلاح الدين الأيوبى يباشر سلطانه الفعلى فى مصر بوصفه وزيراً للبلاد من قِبل الخليفة الفاطمى العاضد، ولكنه بموت الخليفة سنة ٥٦٧ هـ، صفا الوقت لصلاح الدين وصار يخطب باسمه على المنابر المصرية بعد الخليفة العباسى والملك العادل نور الدين محمود (٢).

وقد شهدت قفط وما جاورها من بلاد قوص بصعيد مصر على إثر

---

(١) ذكر ياقوت أن أصل القفطى يرجع إلى بنى شيبان بن ثعلبه بالكوفه، حيث انتقلوا إلى قفط، وكان بنو شيبان كما يذكر ابن حزم أنهم استطاعوا الاستيلاء على الكوفة وواسط والموصل بزعامة الضحاك بن قيس بن الحصين وذلك سنة ١٢٧ هـ فى عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بنى آمية ولعل نزوح بنى شيبان من الكوفة إلى مصر ونزولهم الصعيد وقفط قد حدث فى أعقاب استيلاء العباسيين على الحكم وتعقبهم لفلول الخوارج وغيرهم من العلويين ومحاولة القضاء عليهم. جمهرة أنساب العرب ص٣٢٢، معجم البلدان، ج٤، ص٣٨٣، معجم الأدباء، ج١٥، ص١٧٨-١٧٩، محمد جمال الدين سرور، الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية، ص١٢٦-١٢٧.

(٢) أبو شامه: كتاب الروضين فى أخبار الدولتين، ج١، ص٤٩٢-٤٩٣، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٣٤١، سعيد عاشور: الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام، ص ٢٩.

ذلك أحداثاً هامة يعزى إليها هجرة والد القفطى ونزوحه إلى القاهرة . فمن تلك الحوادث الهامة التى نشبت على إثر تولى صلاح الدين السلطة ، ما كان من استنكار المخلصين من الشيعة لسياسة صلاح الدين فى القضاء على أنصار الخلافة الفاطمية إذ لم يلبث هؤلاء أن دبروا مؤامرة كبرى فى القاهرة سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م واتصلوا بالصليبيين والباطنية بالشام . وكان من زعماء تلك المؤامرة الشاعر عمارة اليمنى وعبد الصمد الكاتب ، وابن عبد القوى الذى ادعى أنه داود بن العاضد ، ولكنه سرعان ما انكشف الأمر وتم احباط المؤامرة قبل أن تولد ، بعد ان اتصل زعماؤها بالباطنية ، والقوى الصليبية ، ولم يبق إلا تحركهم نحو القاهرة على حد قول ابن الأثير (١) .

وقد نجح صلاح الدين فى القبض على المتآمرين فى القاهرة وصلب زعمائهم ، كما وجه جهوده فى سبيل إخماد الفتنة بالصعيد ، حيث بعث بأخيه الملك العادل أبى بكر بن أيوب على رأس جيش فقتل من أهل قفط كما يذكر المقريزى (٢) نحو ثلاثة آلاف وصلبهم على شجرها ظاهر قفط بعمائمهم وطيالستهم ، وكان ذلك عام ٥٧٢ هـ.

وقد أدى ما حدث فى قفط إلى هجرة والد القفطى ومغادرته الصعيد الأعلى قاصدا القاهرة وبصحبته ابنه جمال الدين حيث كانت نشأته بها (٣) .

وفى تلك الأثناء - ولم يكن القفطى وابنه قد غادر أرض الصعيد بعد ، وجه السلطان صلاح الدين جهوده نحو اخماد ثورة أخرى قامت فى أسوان على حدود النوبة أشعلها أحد قادة الفاطمين واسمه كنز الدولة

---

(١) الكامل فى التاريخ ، جـ١٠ ، حوادث سنة ٥٦٩ هـ ، بروكلمان: تاريخ الأدب العربى ، جـ ٦ ، ص ٨١ .

(٢) الخطط ، جـ ١ ، ص ٤٦ .

(٣) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، جـ١٥ ، ص١٧٩ ، على الخطيب: القفطى حياته وأدبه ، ص ٢٦ .

الذى تمكن من حشد بعض العناصر حوله من أتباع الفاطميين ، ولكن الحملة التى أرسلها صلاح الدين بقيادة أخيه العادل تمكنت من القضاء على حاكم أسوان كنز الدولة وأنصاره ، كما أستطاعت أن تقضى على الجند السودان قضاء تماما .(١)

وقد اتفق مع ثورة كنز الدولة وشغب الجند السودان هؤلاء أن شهدت بلاد الصعيد بعض القلاقل والاضطرابات الأخرى كان وراءها رجل يدعى عباس بن شادى عند بلدة تسمى طود (٢) بالقرب من الأقصر يقول أبو شامة عنها (٣) " وثار فى بلاد قوص ونهبها وخربها ، وأخذ أموال الناس ، واتصل ذلك بالملك العادل سيف الدين أبن بكر بن أيوب ، فجمع له العساكر ، وأوقع به وبدد شمله وفض جموعهم .

عاصر الفقطى الابن بعد أن بلغ عمر الشباب فى القاهرة صلاح الدين وانتصاره على الصليبيين فى موقعة حطين عام ٥٨٣ هـ/١١٨٧م واستيلائه على ساحل الشام وبيت المقدس .(٤) وسرعان ما نزح اليها والده القفطى وبقى بها خمسة عشر عاما ، تولى خلالها أبوه بعض المناصب الهامة ، واشتغل الابن فيها بالدرس والتحصيل على أيدى علمائها ، مواصلا بذلك ما بدأه منذ حداثة سنه من دراسته كسائر العلوم الاسلامية بفروعها المختلفة .(٥)

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، حوادث سنة ٥٧٠ هـ .

(٢) طود : قرية من قرى الصعيد بمركز الأقصر ، تقع فوق قوص ودون أسوان ، وهى لا تزال موجودة حتى الآن ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٦٤ حاشيه .

(٣) كتاب الروضتين ، جـ ١ ، ص ٦٠١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، حوادث سنة ٥٨٣ هـ ، سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٥٧٩ هـ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٨٥ .

ثم توجه أبو الحسن القفطى بعد ذلك إلى مدينة حلب التى كان صلاح الدين الأيوبى قد تمكن من الاستيلاء عليها منذ عام ٥٧٩هـ/١١٨٣م من أيدى الأمراء الصليبيين .(١)

وكان انقسام البيت الأيوبى بعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ فى دمشق ، قد أدى إلى جعل مدينة حلب وشمال الشام من نصيب ابنه الثالث الملك الظاهر غازى ، وقد ظل حاكما عليها منذ وفاة أبيه حتى سنة ٦١٣ هـ،(٢) وقد احتفظ الملك الأفضل نور الدين بدمشق وببيت المقدس وبعلبك وصرخد وبصرى وباتياس وتبنين إلى الداروم (٣)قرب الحدود المصرية . أما الملك العزيز عثمان فكان نصيبه حكم مصر (٥٨٩-٥٩٥ هـ) .(٤)

كان نزوح القفطى إلى حلب من خير الأمور التى هيأت له أسباب الاستقرار والانقطاع للعلم وتحصيله والاشتغال به ، حيث ظل نحو عشرة أعوام عاكفا على بحوثه التاريخية والأدبية وتصنيفه للكتب ، حتى عهد إليه بتولى الكتابة الديوانية عام ٦١٠ هـ(٥)، وظل فى الخدمة حتى عام ٦٢٨ هـ، وذلك باستثناء فترة لا تزيد عن ثلاث سنوات ، كان يرفض فيها مواصلة العمل فى ديوان حلب ، ولاسيما بعد موت الملك الظاهر غازى سنة ٦١٣ هـ/١٢١٥ م .(٦)

وعندما تولى الملك العزيز حكم إمارة حلب سنة ٦٣٣ هـ عهد

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٥٧٩ هـ ، المقريزى : الخطط، جـ ٣ ، ص ٨٥ .

(٢) السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين ، ص ١٠٦ .

(٣) ذكر ياقوت نقلا عن محمد بن أبى حبيب أنها بليده بينها وبين غزة أربعة مراسح ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٤٣٢ .

(٤) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ، ص ٧٥.

(٥) ياقوت : معجم الأدباء ، جـ١٥ ، ص ١٨٩ ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١ ، ص ٣٧٤ .

(٦) ياقوت : المصدر السابق ، جـ١٥ ، ص ١٨٩ .

الى القاضى الأكرم القفطى وأسند إليه الوزارة ، وظل فى منصبه الخطير إلى أن توفى سنة ٦٤٦ هـ .(١)

وقد برزت شخصية القفطى بحلب وذلك لما أصبح عليه من المكانة العلمية والأدبية حيث توافد عليه الوراقون وأهل العلم والأدب فصاروا يغشون مجلسه ،(٢) كما صار يحرص على غشيان مجالس العلماء ومناظرة الأدباء مما أدى إلى ذيوع صيته واشتهار أمره فى الأوساط العلمية والأدبية فضلا عما حظى به من مكانه لدى الحكام حينذاك .

ولا غرو فقد كان حرصه على تلقى العلم أينما سار وحل ، وذلك من شيوخ المسلمين فى الحديث وغيره من علوم الاسلام ، فقد سمع من شيخ المحدثين أبى طاهر بن بنان أثناء فترة تواجده بمصر ،(٣) كما قرأ النحو على شيخه العالم صالح بن غازى بقفط ، ذكر ذلك فى ترجمته له فى كتاب " انباه الرواه فى أخبار النحاه ، وأنه انتفع به .(٤)

وأوضح الادفوى(٥) أنه روى عن الحافظ الشهير أبى الطاهر السلفى بالاجازة وعن غيره من شيوخ العلم بمصر وذلك قبل نزوحه إلى حلب وقد استمر فى طلب العلم والتحصيل بعد بلوغه اياها على الرغم مما أسند

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١ ، ص ٣٧٤ .

(٢) ذكر ياقوت أنه اجتمع بالقفطى وأنشده لنفسه بحلب من قصيده له وذلك فى جمادى الآخر سنة ٦١٣ هـ. المصدر السابق ، ص١٧٩ .

(٣) ابن سعيد المغربى وآخرون : النجوم الزاهره فى حلى القاهرة ، ص ٢٥٩-٢٦٠ تحقيق حسين نصار ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٧٥ .

(٤) يصف القفطى شيخه ومدى استفادته فيقول : قرأنا عليه واستفدنا منه ، وكان يجلس للافادة ما بين الظهر والعصر بجامع قفط وانتفع ببركته كل من صحبه وكانت وفاته سنة ٥٩٣ هـ. انباه الرواه ، جـ٢ ، ص٨٤ ، ط. دار الكتب المصرية ، ١٣٦٩ هـ/١٩٥٠م.

(٥) الطالع السعيد ، ص ٤٣٦ .

اليه من أعمال الخدمة والكتابة، فكان يفعل ذلك على مضض واستحياء كما يقول ياقوت (١)، وذلك لشوقه للانقطاع للعلم ومجالسه، ومكث على ذلك فترة حتى كانت وفاة صاحب الديوان ميمون القصرى فى رمضان سنة ٦١٠ هـ فعهد اليه الملك الظاهر، ويصف ياقوت مدى انشغاله فى ذلك الوقت بالعلم والتصنيف فيقول (٢) " فأقر الملك الظاهر غازى صلاح الدين خزائنه عليه وهو ملازم لبيته متشاغلا بالعلم وتصنيف الكتب إلى أن احتاج ديوانه اليه، فعول فى اصلاحه عليه، وهو مع ذلك تجنب غير راضى " .

أقام القفطى بحلب على تلك الحال حتى عهد اليه بالوزارة، فلم يشغله منصبه الخطير من تقديم العون للعلماء وتشجيعهم وغشيان مجالسهم، فضلا عن مواصلة جهوده فى سبيل البحث والتنقيب والتأليف (٣).

وهكذا ذاعت شهرة الوزير العالم جمال الدين القفطى بحلب وعلت مكانته بين مؤرخى وكتاب عصره، فقد عرف له سلاطين بنى أيوب فضله وعلمه ورجاحة عقله وسداد فكره، فحرصوا على توليه الوزارة تكريما له واعترافا منهم بكفاءته وفضله .

ويشير ياقوت فى ترجمته له أنه صار ملاذا لطلاب العلم والعلماء وكهفا له يسعون اليه دائما، وحينما يشتد الأمر بهم، وكان من أشهر هؤلاء ياقوت الحموى نفسه. فقد بعث اليه يطلب منه العون والمساعدة بعد وصوله الموصل هاربا من وجه التتار (٤)، فلما بلغ حلب اجتمع به واستفاد من علمه الغزير .

---

(١) معجم الأدباء، جـ ١٥، ص ١٨٩ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية، جـ ١، ص ٣٧٥ .

(٤) ياقوت : المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٢ - ٢٥، أبوالفتوح محمد التوانسى : ياقوت الحموى الجغرافى الرحالة الاديب، ص٦٩-٧٠.

يصف ياقوت ذلك فيقول[١]: " واجتمعت بخدمته فى حلب فوجدته جم الفضل ، كثير النبل ، عظيم القدر ، سمح الكف ، طلق الوجه ، حلو البشاشه ، وكنت ألازم منزله ويحضر أهل الفضل ، وأرباب العلم ، فما رأيت أحدًا فاتحا فى فن من فنون العلم كالنحو واللغة والفقه والحديث وعلوم الأصول والمنطق والرياضة والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل وجميع فنون العلم على الاطلاق الا قام به أحسن قيام ، وانتظم فى وسط عقدهم أحسن انتظام .

وقد وجدت ياقوت فى عطف الوزير المؤرخ القفطى بحلب ما ساعده على تحسين حاله وانجاز عمله الضخم وذلك فى تصنيف معجمه الشهير وهو معجم البلدان ، فهو يشير الى مساعدته اياه بقوله[٢]: وقفنى الوزير الصاحب ومدير دولتها على الجريدة بذلك وأسماء القرى وأسماء ملاكها ... الخ .

وحين كان يعرض لياقوت بعض المصاعب فى معرفة بعض الأماكن والبقاع فانه كان يستعين بالقفطى فهو يروى عن جهة "داراء" أنها موضع صعب عليه تحديد مكانه ، ويقول[٣] : وكثر تفتيشنا اياه وظنه شارحو الحماسة "دارا" التى ببلاد الجزيرة ، فغلطوا حتى وجده الوزير الصاحب الأكرم جمال الدين ، فأوضح لى أنها احدى نواحى البحرين ومنها وقد عبد قيس على النبى صلى اللّه عليه وسلم ليعلن اسلامه[٤] .

---

(١) المصدر السابق ، جـ ١٥ ، ص ١٧٩ ، الادفوى : الصالع السعيد ، ص ٤٣٦ .

(٢) معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٨٥ .

(٣) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤١٨ .

(٤) يذكر ابن هشام أن وفد عبد قيس وفد على المدينة برئاسة الجارود ابن عمرو بن حنش وكان نصرانيا ، فعرض عليه الرسول صلى اللّه عليه وسلم الاسلام ، فأسلم وأسلم أصحابه ، السيرة النبوية ، جـ ٤ ،ص١٦٤ ، ياقوت : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٦٨ .

وحينما أتم ياقوت مسودته الأولى لمعجمه الشهير فى سنة ٦٢١هـ ثم رفعها اليه ، وكان يقصد من وراء ذلك الحصول على اجازة الوزير القفطى للكتابه ، وأن يحوز رضاه لما شمله من خالص كرمه وسابغ عطفه .(١)

وقد ساعد القفطى على نبوغه ونشاطه العلمى ما كانت تحظ به حلب(٢) من الاستقرار والازدهار على يد حاكمها الملك العزيز محى بن عبد الملك الظاهر غازى ، والقائم على أموره شهاب الدين طغرل الذى كان حسن السيره عادلا لا نظير له فى أيامه فى سائر الأنحاء .(٣)

ويصف الرحالة عبد اللطيف البغدادى نشاط شهاب الدين طغرل العلمى فى ذلك الوقت فيقول(٤) : وكان دائم الاشتغال ملازما للكتابه والتصنيف" كما يشير إلى انشغاله الدائم ، فيذكر أنه حاول الاجتماع به فلم يتفق له ذلك ولكنه كما يقول كانت تصانيفه تصل اليه ".

وهكذا أعاد شهاب الدين طغرل والقفطى وغيرهما الى حلب النشاط العلمى والازدهار الثقافى ، فصارت أكثر مما كانت عليه فى عهد

---

(١) أبو الفتوح محمد التوانسى : ياقوت الحموى الجغرافى ، ص ٦٨ .

(٢) يصف ابن جبير مدينة حلب التى زارها فى أواخر القرن السادس الهجرى ومدى اتساع العمران بها فيبدى دهشته ويقول : وأما البلد فموضوعه ضخم جدا ، حفيل التركيب بديع الحسن واسع الاسواق كبيرة ، متصلة الانتظام . . كما يصف جامع حلب آنذاك قائلا . . وهذا الجامع من أحسن الجوامع وأجملها قد أطاف بصحنه الواسع بلاط متسع مفتوح كله أبوابا قصرية الحسن الى الصحن ، عددها ينيف على الخمسين بابا فيستوقف الابصار حسن منظرها " كتاب الرحلة ، ص ٢٠٤ .

(٣) ياقوت : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨٤ .

(٤) الافاده والاعتبار فى الامور المشاهده والحوادث المعانيه بأرض مصر ، ص ١٢-١٣ نشر سلامه موسى .

أميرها سيف الدولة بن حمدان (٣٣٣-٣٥٨ هـ)، حينما كان يتردد على بلاطه أشهر الفلاسفه والعلماء والأدباء كالفارابى وابن خالويه وأبى الطيب المتنبى فى القرن الرابع الهجرى .(١)

عادت حلب كاحدى مراكز العلم والثقافة في عهد الأيوبين، وأصبحت من جديد قبلة العلماء والمؤرخين ، قصدها ضياء الدين أبو الفتوح نصر الله بن الأثير أخ المؤرخ الشهير عز الدين ، حيث اتصل بخدمة أميرها الظاهر غازى وذلك فى سنة ٦٠٧ هـ وهو صاحب كتاب المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر .(٢)

منهج القفطى فى الكتابة التاريخية :

بلغت تصانيف القفطى ومؤلفاته نحو ست وعشرين مؤلفا فى شتى المعارف والعلوم السائدة فى عصره ، لم يصل لدينا منها سوى ثلاثة هى : إخبار العلماء الحكماء ، بأخبار الرواة بأخبار النحاة وكتابه " المحمدون من الشعراء "(٣) ولاشك أن شهرته التى حازها فى مجال التدوين التاريخى كانت بفضل كتابيه الأولين ، ولا سيما كتابه الأول " تاريخ الحكماء "، كما أطلق عليه غير واحد من أصحاب التراجم والطبقات .(٤)

---

(١) آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جـ١ ،ص٤٦٣، دائرة المعارف الاسلامية ،جـ١٥ ،ص٣١٩، محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص٢٣٠-٢٣١ .

(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ،جـ٥، ص ٢٧١-٢٧٣ .

(٣) ياقوت : معجم الادباء، جـ١٥، ص١٨٦-١٨٧، الادفوى : الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ، ص ٤٣٧، السيوطى :حسن المحاضرة، جـ١ ، ص ٥٥٤ ، حاجى خليفة : كشف الظنون،جـ١، ص ٣٠١ .

(٤) اختصر الزوزنى هذا الكتاب وجاء عنوانه المنتخبات الملتقطات من كتاب تاريخ الحكماء ذكر ذلك حاجى خليفه، وقد تم نشره فى ليبسله سنة ١٩٠٣ هـ ثم أعيد طبعه عطيفه السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

ولا يعنى ذلك أن المؤرخ القفطى اقتصر فى تصنيفه فى مجال التاريخ على هذا المعجم فانه قام بتصنيف العديد من التواريخ المحلية الهامة منها : تاريخ القاهرة أو تاريخ مصر إلى أيام الملك صلاح الدين ، وتاريخ اليمن ، وتاريخ المغرب ، وتاريخ الملوك السلاجقه وتاريخ بنى بويه ، الايناس فى أخبار آل مرواس وقد عبثت بها يدالزمن فلم يبق منها سوى أسمائها ، وذلك على الرغم من أنه أوقف حياته عليها .(١)

كما تشير المصادر التاريخية والأدبيه إلى أن القفطى لم يقتصر عمله العلمى على التصنيف فى مجال التراجم والتواريخ المحليه ، وانما كان حرصه على تدوين الرسائل التاريخيه التى تتناول موضوعا قائما بذاته ، ويعد هذا النمط من أهم الأنماط فى مجال الكتابة التاريخية عند العرب المسلمين ، وذلك لأن هذه الرسائل كانت أشبه فى وظيفتها الحضارية بالمجلات الدورية فى عصرنا الحديث ، فقد كانت كل منها تمثل موضوعا عاجلا يهم الناس فى ذلك العصر .(٢)

وتشبه تلك الرسائل التى صنفها القفطى تلك الرسالة التى قام بتدوينها بعد ذلك المقريزى فى المجاعات والمعروفة باسم "اغاثة الأمة بكشف الغمه "(٣) . ومن الرسائل التى دونها القفطى رسالته بعنوان : كتاب من ألوت اليه فرفعته ثم التوت عليه فوضعته وأخبار المصنعين وماصنعوه ، كتاب الرد على النصارى وذكر مجامعهم ، كتاب مشيخة زيد بن الحسن الكندى ، كتاب نهزة الخاطر ونزهة الناظر فى أحسن ما نقل من على ظهور الكتب .(٤)

ولاشك أن هذه الرسائل التاريخية كانت تلبى حاجة الناس

---

(١) ياقوت : المصدر السابق ، جـ ١٥ ، ص ١٨٦-١٨٧ . ، السيوطى: حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٥٥٤ .

(٢) قاسم عبده قاسم : الرواية الحضارية للتاريخ ، ص ١٠٢ .

(٣) قاسم عبده قاسم : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٤) ياقوت : المصدر السابق ، جـ ١٥ ، ص ١٨٧ .

إلى المعرفةورغبتهم فى ذلك الوقت [١] فهى لا تقل أهمية من الناحية الموضوعية عن تلك التصانيف فى التراجم والطبقات أو التواريخ المحلية من أنواع الكتابة التاريخية .

ولعل شغف القفطى بالتدوين التاريخى كان لمحاولته معرفة العلل والأسباب لما عاصره من وطأة الأحداث منذ نعومة أظافره ، منذ أن نزح الى القاهرة تاركا مدينته ومسقط رأسه فقط ، وماشهده فى مصر وبلاد الشام من تلك الأحداث الدامية - حين شب عن الطوق - وحتى كان نصر السلطان صلاح الدين فى حطين ، وما أعقبه من استيلاء المسلمين على بيت المقدس وانتزاعها من أيدى الصليبيين [٢] . وما أعقب ذلك فى عهد السلطان الكامل حينما وافق على عودة بيت المقدس من جديد إلى حوزتهم بعد توقيعه عقد اتفاقية يافا مع امبراطور الفرنجه فريدريك الثانى سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م [٣] مما أثار موجة عامة من السخط والأسى فى العالم الاسلامى حينذاك ، وكما يقول ابن الاثير [٤] : فاستعظم المسلمون ذلك وأكبروه ووجدوا له من الوهن والألم ما لم يكن وصفه " .

انتشر أمر تدوين الرسائل التاريخيه بعد ذلك فى عصر سلاطين المماليك ، وتقى الدين المقريزى نفسه عدة رسائل تاريخيه ... رى ، والتى أشار الـ ... السخاوى ضمن أنماط الكتابة التاريخية ... ت عنوان " كتب ... خ منوعة ". منها الالمام بأخبار من ... بأرض الحبشه مر ... الاسلام، والطرفة القريبة من أخبار ... رموت ، كما صنف ... ، من جاء واعيده عدة رسائل تاريخية ... منها بذل الماء ... ل الماعون فى فضل الطاعون لابن العسقلانى .

... الأثير : الكامل ، ... ، حوادث سنة ٥٨٣ هـ ، سعيد ... : الأيوبيون و... فى مصر والشام ، حتى ٦٣ -

(٣) ... باز العرينى : م... الأيوبيين ، ص ١١٩-١٢٠.

(٤) جـ ١٠ ، حوادث ... ٦ هـ .

والواقع أنه لم يكن وطأة الأحداث هى الباعث على اهتمام القفطى بالتاريخ فحسب (١)، بل شجعه على ذلك أولئك المؤرخون الافذاذ الذين واصلوا نشاطهم العلمى فى الكتابة التاريخية وكانوا من المعاصرين له ، فقد عاصر القفطى طائفة من كبار المؤرخين والكتاب فى بغداد والموصل ودمشق والقاهرة وغيرها من مراكز العلم والحضارة ، فكان من شيوخه ابن الأثير المؤرخ الشهير (ت: ٦٣٠ هـ) الذى روى عنه (٢) فهو يقول عنه " وكتب إلى الاجازة بجميع مصنفاته ، ومسموعاته ومروياته "، كما كان اللقاء مع أخيه ضياء الدين بحلب وكان من الأدباء المشهورين (٣) .

كما نذكر من هؤلاء الكتاب والمؤرخين الأجلاء الذين عاصرهم القفطى وتأثر بهم فى تصنيفه لأحداث التاريخ وكتب التراجم والطبقات،

---

(١) كما عرف القفطى فضيلة علم الاخبار وما يحتاج اليه العالم منه ، وقد عبر ياقوت الحموى والرحالة المعاصر له عن ذلك فنقل عن غيره من العلماء قولهم " اذ كان كل علم من الاخبار يستخرج، وكل حكمة منها يستنبط ، والفقر منها تشتار ، والفصاحة منها تستفاد ، وأصحاب القياس سوى عليها يبنون ، وأهل المقالات بها يحتجون ، ومعرفة الناس منها تؤخذ ، وآداب معاشه الملك والحزم منها تلتمس .. الخ. معجم الادباء ، جـ ١ ، ص ٩١.

(٢) يذكر ابن خلكان أنه لقى فى صباه ابن الأثير فصار يلازمه ويتردد عليه ، ولاشك أن القفطى كان أسبق اليه من ابن خلكان حيث كان فى تلك الفترة مقيما بحلب ممتعطفا للعلم ، كما هو الحال بالنسبة لشيخه المؤرخ ابن الأثير . وفيات الاعيان، جـ٣،ص٣٤٨-٣٤٩، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ١، ص٥٨.

(٣) عاش الأديب ضياء الدين حياة مليئة بالنشاط والحركة ، قدمه القاضى الفاضل الى السلطان صلاح الدين ، واتصل بخدمته عام ٥٨٧ هـ ، وسرعان ما أصبح وزير الملك الأفضل صلاح الدين، ثم اتصل بخدمة الملك العزيز عام ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م ولم يبق طويلا حيث غادر حلب الى الموصل . دائرة المعارف الاسلامية جـ ١ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

القاضى بهاء الدين بن شداد الذى اتصل بخدمة صلاح الدين عام ٥٨٤هـ/ ١٦٨٨م [١] وولاه قضاء العسكر وقربه اليه وشهد معه معارك عدة جرت بين صلاح الدين وبين الصليبيين ، وكانت وفاته بحلب عام ٦٣٢ هـ / ١٢٣٩م وهو صاحب كتاب " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية " . [٢]

وكذلك العماد الأصفهانى الكاتب والمؤرخ المعروف الذى اتصل بالسلطان صلاح الدين اتصالا وثيقا ، ورفع من شأنه ولم يزل فى خدمته إلى أن توفى مؤسس الدولة الأيوبية ، وقد حرص العماد على تسجيل الوقائع الصلاحية فى نثره المسجوع وهو صاحب كتاب " الفيح القسى فى الفتح القدسى " . [٣]

ومن أشهر الكتاب الذين عاصروا القفطى القاضى الفاضل أبو على عبد الرحيم البيسانى الذى ولاه صلاح الدين الوزارة فساس ملكه خير سياسة ثم وزر بعد لولده الملك العزيز ، ثم لأخيه الملك الأفضل، وكانت وفاته سنة ٥٩٦ هـ بالقاهرة . [٤]

كما كان من أشهر الكتاب والمؤرخين الذين برزوا فى عصر القفطى وصنفوا فى التراجم والطبقات المؤرخ الشهير ابن خلكان

---

(١) ولد ابن شداد بالموصل سنة ٥٣٩ هـ ، وتلقى العلم على شيوخ عصره ، وصار عالما بالقراءات والحديث والتفسير واللغه والفقه ، صنف عدة كتب واشتغل بالتدريس والقضاء ، ابن سعيد وآخرون: النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، ص ١٠٧ حاشية ، السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ١٢٦ .

(٢) ابن سعيد المغربى وآخرون : المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

(٣) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، جـ ٦ ، ص ٦٠٥ .

(٤) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٨٤ - ٨٥ .

صاحب كتاب وفيات الأعيان[١]، والمؤرخ أبن القاسم عمر المعروف بابن العديم الحلبى (ت ٦٦٠ هـ) الذى ألف كتابا فى التراجم على غرار تاريخ بغداد وذلك بعنوان " بغية الطلب فى تاريخ حلب "[٢] ، هذا بالاضافة الى تأليفه كتابا فى التاريخ عن مدينة حلب لم يتح له أن يستكمل وعنوانه " زبدة الحلب من تاريخ حلب ". لم يبق منه سوى ثلثه.[٣] وعلى هدى بغية الطلب لابن العديم أخذت التصانيف والتآليف تتوالى واحدا بعد الآخر حتى القرن التاسع الهجرى.[٤]

كان من أهم مؤلفات القفطى التاريخية التى وصلت الينا كتابه الشهير " اخبار العلماء بأخبار الحكماء " فقد اشتمل على أربعمائة وأربعة عشرة سيرة أو ترجمة من تراجم الفلاسفة والأطباء والرياضيين وغيرهم من الفلكيين والجغرافيين والمؤرخين الذين ظهروا فى مختلف العصور حتى المؤرخ القفطى . ولم يسبقه الى مثل هذا التأليف الا ابن النديم صاحب كتاب الفهرست المعروف .[٥]

وتظهر قيمة كتاب " أخبار الحكماء " فيما حواه من المعلومات

---

(١) بعد أن تلقى تعليمه الأول باربل مسقط رأسه ، ذهب الى الموصل فحلب ، وبعد موت ابن شداد صار يتردد ما بين دمشق وحلب وفى سنة ٦٣٦ هـ زار مصر وتزوج بها ، واشتغل بالتأليف. بروكلمان : المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) السخاوى : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ص ١١٤ .

(٣) أورد ابن سعيد المغربى فقرات من هذا الكتاب ، منها تلك الوصية التى أوصى بها السلطان صلاح الدين أحد أمراء حلب وهو سليمان حيدر ، وما يخص تقسيم امارات دولته بين أبنائه ، النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، ص ٢٠٧ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ١٢٣.

(٥) دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١ ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

الغزيرة الخاصة بمعارف المسلمين عن مؤلفات اليونان وغيرها من تراث الأقدمين ، فهو يمدنا بفيض زاخر عن تراثنا الاغريق الفكرى وغيرهم من الفرس والروم . وقد اعتمد عليه ابن أبى أصيبعه المتوفى سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م فى تأليفه لكتاب " طبقات الأطباء " كما انتفع به غيره من المؤرخين وأصحاب كتب التراجم والطبقات (١) .

ويشير المستشرق الألمانى جوليوس ليبرت . Julius Lippert الى مكانة القفطى فى مجال الكتابة التاريخية والى دقته العلمية بعد أن قام بتحقيق كتابه هذا " أخبار العلماء " فهو يقول عنه " فان لدينا مواقر عديده فى كتاب التاريخ ، نراه فيها كأنما نواجهه بشخصه . يصدر مصادره كتابيه كانت أو شفوية ، ولا يتأخر عن الاعتراف بأن أبحاثه فى هذه النقطة أو تلك كانت غير مجديه أو بأن ذكره لمصدر كتابى كان مستمدا من ذاكرته أو بأنه نسى اسما أو تاريخا ، وهو فى مجادلته ملتزم الواقعيه ويدلى بنقد صحيح عند تناوله نقطا جدليه " (٢) .

وهكذا يمضى المستشرق الألمانى فى بيان منهج القفطى فى تأليف كتابه وفقا لثقافته الشامله وعلمه الغزير فى مجال الفلسفة والتاريخ يتجلى ذلك خطبة كتابه التى جاء فيها (٣) " وقد عزمت بيامين الله على ذكر من اشتهر ذكره من الحكماء من كل قبيلة وأمة قديمة وحديثها الى زمان وما حفظ عنه من قول انفرد به أو كتاب صنفه أو حكمه عليه ابتدعها ونسبت اليه ثم يستطرد فى بيان الفائدة المرجوة من كتابه فيقول : فانى رأيت ذلك من الأمور التى جهلت والتواريخ التى هجرت وفى مطالعة هذا اعتبار بمن مضى وذكر من خلف على هذا النحو قد سبق ابن خلدون (٤) فى ادراكه لقيمة التاريخ

( ) أحمد رمضان أحمد : تطور علم التاريخ الاسلامى حتى نهاية العصور الوسطى ، ص ٢١٣ .

(٢) بول غليوجى ، عبد اللطيف البغدادى ، ص ٢٨ .

(٣) أخبار العلماء ، ص ٢ نشر مكتبة السعادة القاهرة .

(٤) المقدمة ، ص ٧ .

وفائدة الاقتداء كما يقول " لمن يرمعه فى أحوال الدنيا والدين فهو محتاج الى مآخذ متعدده ومعارف متنوعه وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبها الى الحق " .

نهج القفطى المؤرخ منهج ابن النديم فى كتابه الفهرست، ونقل عنه كثير من تراجم الحكماء ، وزاد عليه بما اطلع عليه من المعلومات وصار فى حوزته من كتب التراجم والطبقات التى أصبحت احدى سمات القرن الرابع الهجرى ، كما قام بتصنيف كتابه وفقا للترتيب الأبجدى حتى يسهل الوقوف على ترجمة كل من ترجم لهم .(١)

وقد أوقف القفطى فى كتابه لتراجم الأطباء والفلاسفة والحكماء من أصحاب العلوم العقلية ،(٢) ولم يتناول فيه ما دون فى كتب الطبقات السابقة التى تناولت سيرة المحدثين والفقهاء والأدباء من شيوخ العلوم الاسلامية ، وانما أفرد لها تصنيفا مستقلا فى كتابه " انباه الرواه فى أخبار النحاه " فجاء على غرار كتاب تاريخ علماء الأندلس لأبى عبد الله بن الفرضى الأندلسى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ وكتاب " تاريخ بغداد " لمؤلفه الخطيب البغدادى ، الذى صنفه على طريقة المعاجم وراعى فيه أن تكون تراجمه شامله ، وقد أبدى فيه اهتماما خاصا بتراجم أهل الحديث والفقه والتفسير وأرباب اللغة والأدب ..

وكما عنى ابن النديم بكتابه الفهرست الذى قصد به الحصر البيولوجرافى بأوصع معانى الكلمة وأدقها وفقا للمصطلح الحديث، فهو لا يقف عند موضوع بعينه أو عند اقليم معين(٣) كذلك نهج القفطى فى تصنيف كتابه " اخبار العلماء بأخبار الحكماء " فصار

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١ ، ص ١٣٩ ، السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ١٢١ .

(٢) Lecerc : Histoire de la Medecine Arabe Tome 2, pp. 529 - 531.

(٣) حسين محمد سليمان : التراث العربى الاسلامى ، ص ١٢٦-١٢٧.

يتسع له ليستوعب كل ما ألف فى لغة العرب أو ترجم اليها من اللغات الأخرى فى شتى أنواع المعرفة حتى تاريخ تأليفه لكتابه المعروف.(١)

وكذلك صار القفطى على نهج الفيلسوف فخر الدين الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ فى تصنيفه لكتاب " حقائق الأنوار فى حدائق الأشرار " وهو كتاب فارسى ثم نقله الى العربية بعنوان " جامع العلوم "(٢) وقد رتب وفقا للموضوعات ، ذكر منه أنواع العلوم وأسماء الكتب المؤلفة فيها كما حرص فيه على ذكر اسم المؤلف ونبذة عن حياته وأسماء كتبه .

وقد التزم القفطى بمنهج البحث التاريخى فى تصانيفه ، فكان موضوعيا لا يتعصب لرأى أو مذهب بعينه ، حيث جاء ملاحظاته ومروياته خاليه من التحيز أو الهوى ، فهو يعترف بفضل أهل الذمة فى موضع وفى تراجمه للأطباء وغيرهم من الفلاسفة ، يتضح ذلك فيما ذكره حين ترجم للطبيب اليهودى يوسف بن يحيى المغربى نزيل حلب ، وفيما كان عليه من أموده وحسن المعاملة ، وبما اتسم به من روح الفكاهة التى ربطت بينهما طوال فترة اقامته بها.(٣)

وكان يتحرى الصدق فيما ينقله عن المؤرخين وأخبارهم ، ويدل على ذلك فيما أورده فى ترجمته لأحد هؤلاء ويدعى محمد بن عبد الله الشهير بالعتقى ، فهو يذكر أن هذا المؤرخ حينما وفد الى مصر برفقة المعز لدين الله سنة ٣٦٢ هـ قام بتأليف كتاب له فى التاريخ وذكر فيه أخبار بنى أمية وبنى العباس ، وعرض فيه أشياء من محاسن القوم وجميل أفعالهم ، ولما قدمه المؤرخ العتقى الى الوزير يعقوب بن كلس واطلع عليه أنهاه الى الخليفة الفاطمى العزيز بالله ، فكان جزاءه أن جمع ابن كلس الناس فى داره وخاطبهم فى ذمه على سوء صنيعه ، وأمر بمصادرة صنيعه وأنه ظل مغضوبا عليه

---

(١) G, Willson : Great Men, of Science, p. 67.
(٢) حسين محمد سليمان : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .
(٣) القفطى : اخبار العلماء ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

الى أن مات فى رمضان سنة ٣٨٥ هـ .(١)

ولقد أدرك القفطى سلامة المنهج ، يتبين ذلك حين ترجم لمؤرخ آخر يدعى الفرغانى ، وكان معاصرا لدخول الفاطمين الى مصر واتخاذهم القاهرة حاضرة لخلافتهم، وقد وصف له كتابا فى التاريخ، يوضح القفطى أنه قام بدراسته وعقد مقارنة بينه وبين ما دوّنه ثابت ابن سنان فى كتابه(٢) الذى أرخ فيه لأخبار الشام ومصر ، ويصفه بأنه جاء أكثر شروحا فى بعض المواضع وافاضة فى رواياته التاريخية ، مما يدل على شمول فكره وسلامة منهجه فى كتاباته التاريخية .(٣)

وقد اعتمد القفطى فى تدوينه للتراجم والأخبار على المصادر الأصيله ، يتضح ذلك فيما أشار اليه حين ترجم لجماعة اخوان الصفا التى اتخذت البصرة مقرا لها فى القرن الرابع الهجرى ، وكان هؤلاء قد اجتمعوا فى كتاب لهم فى أنواع الحكمة الأولى ورتبوه مقالات عدتها احدى وخمسون مقالة ، منها خمسين نوعا فى علوم الحكمة ، ومقالة هى الحادية والخمسون جامعة لأنواع المقالات على طريق الاختصار والايجاب ، ويبرهن القفطى على صدق تحريه عن المصادر التى اعتمد عليها فيقول(٤) ولم أزل شديد البحث والتطلب لذكر مصنفها حتى وقفت على كلام لأبى حيان التوحيدى جاء فى جواب له عن أمر سأله عن وزير صمصام الدولة بن عضد الدولة فى حدود سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ... الخ .

كان المؤرخ القفطي من أوائل المؤرخين الذين كشفوا النقاب

---

(١) القفطى : اخبار العلماء ، ص ١٨٧ .

(٢) أفرد ثابت بن سنان المؤرخ كتابا له فى أخبار الشام ومصر، هذا بالاضافة الى كتاب له فى التاريخ الاسلامى بدأه منذ أيام الخليفة العباسى المقتدر حتى وفاته سنة ٣٦٣ هـ .
ياقوت : معجم الأدباء ، جـ ٧ ، ص ١٤٢ .

(٣) أخبار العلماء ، ص ٧٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٨ .

عن تلك الجماعة الذين كانوا من فلاسفة العصر العباسى ومحل عطف البومهين أصحاب النفوذ والسلطة فى بغداد منذ عام ٣٣٤ هـ وحتى سنة ٤٤٧ هـ[١] وقد ذكر المؤرخ بعض أسماء أفرادها منهم محمد بن نصر المقدسى وعلى بن هارون الزنجانى والعوفى وزيد بن رفاعه وتحدث عن نشاط هؤلاء ومحاولتهم التوفيق فيه العلم والدين ، وتحقيق الانسجام بين الشريعة والفلسفة اليونانية وتوحيد الثقافة فى صورة أشبه ما تكون بدائرة معارف عامة فى ذلك العصر .[١]

كما ترجم القفطى لأحد الفلاسفة الحكماء الذين عاشوا فى أواخر القرن الخامس الهجرى بمصر الفاطمية وهو العالم مبشر بن فاتك، وأشاد بعلمه الغزير وفضله على معاصريه فقال عنه[٢] " قرأ عليه فضلاء زمانه فسادوا واستمطروا جوده فى علوم فجدوا وأجادوا " وقد خلف من التصانيف الهامة ، منها كتاب له عن فلاسفة الاغريق عبارة عن مجموعة مقالات لهم جمعها وصنفها ، لم يسبقه أحد الى ذلك.[٣]

وهكذا تتجلى حيوية البحث التاريخى عند القفطى فى تلك الاضافات الهامة التى اشتملت عليها تراجم هؤلاء الفلاسفة والحكماء من أعلام المسلمين أمثال الكندى يعقوب بن اسحاق المتوفى سنة ٢٧٥ هـ وأبو نصر الفارابى المتوفى سنة ٣٩٠ هـ ، وابن سينا الشيخ الرئيسى (ت ٤٢٨ هـ) ، كما يضيف الى هؤلاء تراجم جديدة لم يسبقه أحد اليها أمثال مبشر بن فاتك الفيلسوف والعالم المصرى

---

(١) أخبار العلماء ، ص ٥٩ ، عطيه القوصى : الحضارة الاسلامية ، ص ٢٠٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

(٣) أشار الى قيمة هذا الكتاب جواتياين والى نقله من العربية الى الاسبانية وغيرها من اللغات الأوربية ، وقد تم طبعه ونشره لأول مره فى الغرب الأوربى سنة ١٤٧٧ م ، دراسات فى التاريخ الاسلامى والنظم الاسلامية ، ص ١٨-١٩. ترجمة عطيه القوصى.

السابق ذكره .(١)

وفى ميدان الرياضيات والفلك يضيف القفطى الى ما ذكره ابن النديم من المعلومات الضافيه الى ترجمة الرياضى اليونانى الشهير أقليدس ، والى ما قام به الحسن بن الهيثم الذى رحل الى مصر فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله من شرح مصادرات كتابه فى أصول الهندسة المعروف عند حكماء اليونان بكتاب الأركان "(٢) وهو يعتمد فى ذلك على وثائق وأصول هامة يكشف عنها فى بداية حديثه فيقول(٣): ورأيت شرح المقالة العاشرة منه لرجل يونانى قديم، وقد خرجت الى العربى وملكتها بخط كاتب حكيم وهو عندى والحمد لله .. ورأيت شرح العاشرة للقاضى أبى محمد بن عبد الباقى البغدادى المعروف بقاضى البيمارستان وهو شرح جميل حسن مثل فيه الأشكال بالعدد.. وعندى هذه النسخة بخط موثقها والحمد لله .. " .

ولا غرو اذ حرص القفطى على حوزة مثل هذه المقالات والعمل على اقتنائها(٤) ، فقد كان جمّاعة للكتب حريصا عليها كما يقول ياقوت(٥) " فهو أكثر حرصا منه على اقتنائها، وحصل له منها مالم يحصل لأحد " .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٠ - ٢٤٧ ، ص ١٨٢ - ١٨٤ ، ص ٢٦٩- ١٧١ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، ص ٢١٤ - ٢١٧ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربى، جـ ٤ ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٢) The Leqacy of Greece, pp. 120 - 121, by T. L. Heath, Oxford, 192F.

(٣) القفطى : أخبار العلماء ، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٤) صارت داره فى حلب قبله للوراقين ومقصد الناسخين ، يجلبون له الكتب والأسفار ، وهو يضاعف لهم الثمن ويجزل العطاء، المقدمة من كتاب " انباه الرواه " ص ٢٠ ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

(٥) معجم الأدباء ، جـ ١٥ ، ص ١٨٨ .

وتتضح أهمية الكتابة التاريخية لدى القفطى ونشاطه فى التدوين التاريخى من خلال تراجمه للأطباء وغيرهم من العلماء، فهو يضيف فى كتابه " اخبار العلماء " كثيرا من التراجم الى ما أورده ابن النديم، ويظهر ذلك جليا فيما أفرد من ترجمة كاملة للحارث بن كنده الثقفى أول من طبّ فى الاسلام من العرب ، فلم يسبقه أحد الى ذلك .(١)

كما يضيف الى ترجمة الطبيب يوحنا بن ماسويه أنه خدم الرشيد ، وأنه عهد اليه بالعمل على نقل المؤلفات الطبية القديمة لما عثر عليها فى أنقره وعمورية من بلاد الروم وذلك افتتحها المسلمون وسبوا سبيها، كما ذكر أن الرشيد عينه أمينا على الترجمة ورتب له كُتّابًا .(٢)

كما يذكر القفطى كثيرا من المعلومات عن علاقة الطبيب يوحنا بالخليفة الواثق العباسى وما ناله من حظوة لديه، وعن زواجه بالجارية الرومية ويشير الى استدعاء الخليفة المعتصم له الى دمشق، والى أنه خرج الى الشام للقائه .(٣)

أما فى ترجمته للمنجمين فهو يعتمد على الأصول ويشير الى غرامه باقتنائها، يتضح ذلك فيما ذكره عن المنجم ابراهيم بن سنان الصابى الحرّانى فهو يقول : وله مصنفات حسان فى هذا الشأن ظفرت له برسالة فى ذكر ما صنفه " فمن تصانيفه التى أوضحها فى تلك الرسالة فى أمر علم النجوم ثلاثة كتب أولها كتاب سماه " آلات الاظلال " وثانيها كتاب له فى آمر الخامات كلها، والثالث تصنيف فيما كان بطليموس القلوذى استعمله على سبيل التساهل فى استخراج

---

(١) ابن النديم : الفهرست ، ص ٤١١ - ٤١٢ ، القفطى : المصدر السابق ، ص ٢٤٩ ،
G. Willson : Great Men of Science, p. 67.

(٢) ابن النديم : ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

اختلافات زحل والمريخ والمشترى . (١)

وهكذا كان القفطى يسعى جاهدا الى اضافة كل جديد وهام فى تراجمه لهؤلاء المشتغلين بأمور التنجيم والفلك وغيرهم من أهل المعرفة وأصحاب الحكمة فى العصور الاسلامية الزاهرة .

وعلى الرغم من جفاف الأسلوب العلمى فى تناول القفطى لسير الحكماء وتراجم الفلاسفة فان أسلوبه لم يخل من روح الفكاهة فهو لا يترك فرصة حين تحين للترويح عن النفس ، وخير دليل على ذلك فيما يرويه فى ترجمته لأحد هؤلاء المنجمين ويدعى علوى الديرى، الذى كان يعمل بالتنجيم باحدى قرى الصعيد تعرف بدير البلاص شمال قوص ، يقول القفطى : واجتمعت به بدير البلاص لابراء نسيب لى قد أسكت وأدركته بهته " ويروى القفطى(٢) أنه حينما دخل هذه القرية له أهلها من واجب الضيافة شيئا. ثم أتاه رجل من أهل مصر يحمل جفنة بها دجاج وبيض وغير ذلك ، وكانت له زوجة تغشى أهل قفط تدعى أم سراج فأخبرهم بأنها هى التى سعت الى تقديم هذا الطعام اليهم، لما علمت بمقدمهم وأنها تعتذر عما بدر منها من الغفلة أو التقصير ، فما كان من القفطى الا أن أمسك بلوح من ألواح الصبيان وكتب فيه على سبيل الهزل لا الجد :

جزيت أم سراج كل مكرمة ... فليس الدير للأضياف الاك
ولا سقى الله أرضا فقد حللت بها ... ودمت فى نعمة البارى وحياك
فأنت كالورد حل الشوك جانبه ... أباد ربى شوكا حل مغناك

ومن أهم المصادر التى عكف على تصنيفها القفطى ووصلت الى أيدينا فى مجال التراجم والطبقات أيضا كتابه الثانى " انباه الرواه

---

(١) كان القفطى يتردد الى القاهرة بين حين وآخر كلما عاوده الحنين الى وطنه واشتاق الى أهله بقفط .
ياقوت : معجم الأدباء ، جـ ١٥ ، ص ١٩٠ .
(٢) أخبار العلماء ، ص ١٦٧ .

فى أخبار النحاه " فهو معجم شامل لتراجم مشايخ العربية والنحو فيمن تصدر لافادتهما تصنيفا وتدريسا ورواية (١) كما تضمن أيضا لتراجم كثيره للقراء والفقهاء ، والمحدثين والمتكلمين والمتصوفه وأصحاب العروض والأدباء والشعراء والكتاب ، ممن كان له مشاركة فى اللغة أو معرفة بالنحو (١) .

وقد اعتمد المؤلف القفطى فى تصنيفه لهذا المعجم الهام على مصدرين أساسين كان أولهما التصانيف والكتب فى التراجم والسير مثل تاريخ بغداد للخطيب البغدادى وتاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ مصر لابن يونس ، وتاريخ نيسابور لابن البيع ، وتاريخ همذان لشيرويه ، وتاريخ غرس النعمة للصابى ، وطبقات الأمم لصاعد الأندلسى والمقتبس فى تاريخ الأندلسى لابن حيان ، ورجال الأندلس لابن حزم والصلة لابن بشكوال الى غير ذلك من كتب التراجم والطبقات التى سبقت عصره . (٢)

أما مصدره الثانى معارفه الغزيره التى استمدها من شيوخه فى القاهرة والاسكندرية وقفط ، أو شاهدها فى أسفاره بين مصر والشام وما أفاده من مجالسه العلمية فى حلب ، ومن تلك الرسائل التى غرس بها فى ديوان الانشاء ، فقد أثر عنه الكثير منها ، وكان رجوعه اليها فى كتابه الانباه ملحوظا . (٣)

---

(١) ألف القفطى هذا المعجم على ما يبدو فى فترات طويلة ، وتناوله بالزيادة الى أن انتهى الى صياغته الأخيرة وذلك قبل سنة ٦٢٢ هـ وهى السنة التى توفى فيها الحموى . المقدمة من انباه الرواه ، جـ ١ ، ص ٢٧ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

(٢) أنباه الرواه ، المقدمه ، ص ٢٥ ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

(٣) يتجلى ذلك فى خطبة كتابه بعد المقدمة " وقد شرعت " بتأييد الله وتوفيقه فى جمع ما أمكن ذلك واستشاره كامنه من مكامنه .. ثم يقول : بعد أن استوعب جهد الامكان حسب ما وقع الى من المواد على تطاول الأزمان ، انباه الرواه ، جـ ١ ، ص ٢ .

لم يقتصر القفطى فى تصنيفه لمعجمه الثانى الكبير على عصر أو اقليم دون سائر الأقاليم الاسلامية الأخرى ، وانما أحاطا ما وسعه الجهد بكل ما من شأنه يذكر فى سائر الأنحاء والبقاع الاسلامية ، فقد ترجم لشيوخ الأدب والعلم فى الحجاز واليمن ، كما أفرد للأدباء والنحوين فى فارس والجبال وخراسان ، وكذلك الأمر بالنسبة لشيوخ الشام ومصر وأفريقيه وبلاد المغرب والاندلس وجزيرة صقلية . (١)

كما اتسعت تراجمه لشيوخ العلم فأورد فيها سائر العلوم التى كانوا يجيدوها ومدى الانتفاع بها ، فهو على سبيل المثال يتحدث عن أحمد بن الحطيئه المغربى الذى رحل الى بلاد الشام ثم الى مصر فاستوطنها قائلا : وكان رأسا فى القراءات السبع والأدب والعربية ، وكان لا يصل لأحد برا ، ولا يرزق على اقراء ، ونزل خارج مدينة مصر فى مسجد كبير يعرف بمسجد راشده " . (٢)

ويفرد لأبى العلاء المعرى فى ترجمة طويلة له فيقول عنه وكان حسن الشعر جزل الكلام ، فصيح اللسان غزير الأدب عالما باللغه حافظا لها " ويشير الى انتفاع القاضى أبى القاسم التنوخى منه قائلا : أنه ورد بغداد سنة تسع وتسعين وثلثمائة ، وأنه قرأ عليه دواوين الشعر فى بغداد " . (٣)

ترجم القفطى لسائر من جمع الى علوم العربية علوم الاسلام الخالصة من قراءات وتفسير وحديث مثال أبى اسحاق الثعالبى ،

---

(١) فعلى سبيل المثال وردت ترجمة له لأحمد بن اسماعيل بن بشر التجيبى الاندلسى المعروف بابن الأغبس ، يقول عنه وكان عالما بكتب القرآن من جهة التفسير والعربية واللغة والقراءة ، وكان حافظا للغة العربية كثير الروايه ، جيد الخط ضابطا للكتب . توفى سنة ٣٢٦ هـ . الانباه ، جـ ١ ، ص ٣٣ .

(٢) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٩ .

(٣) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤٦ .

فقد أورد فى ترجمته أنه المقرئ المفسر الواعظ الأديب الثقه الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، العالم بوجوه الاعراب والقـــراءات " كما يتحدث عن تصانيفه فيذكر منها كتاب التفسير الكبير والعرائس فى قصص الانبياء ونحو ذلك "(١) وكانت وفاته سنة ٤٢٧ هـ .

كما يدل على ذلك ما أورده فى تراجمه لهؤلاء الحفاظ الـذين أجادو العربية ومدى انتفاعهم بها فى تدوين كتب الحديث ، يتضح ذلك فى ترجمة المحدث أحمد بن ابراهيم البستى المتوفى فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، فقد ورد فى ترجمته له(٢) : ومن مشهور كتبه فى اللغة كتاب غريب الحديث ، وهو غاية فى بابه ، وله معالم السنن فى شرح سنن أبى داود ، وأعلام السنن فى شرح البخارى .. وغير ذلك " .

وكما حرص القفطى على اضافة كل جديد فى كتابه " اخبار العلماء " فانه نهج ذلك حين قام بتأليف معجمه الثانى "انباه الرواه" فقد راعى فيه عدم تكرار ما سبقه اليه غيره أمثال ابن النديم(٣) أو ياقوت الحموى ، نلحظ ذلك فى ترجمته للنحوى هاشم بن أحمد

---

(١) القفطى : انباه الرواه ، جـ ١ ، ص ١١٩ .

(٢) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٢٥ .

(٣) نذكر فى هذا المجال بالاضافة الى ما سبق ذكره ، ما أوضحه القفطى فى ترجمته لأبى عبد الله محمد بن موسى الخوارزمى الذى عمل فى بيت الحكمة فى عهد الخليفة المأمون ، وذلك حين أضاف الى تأليفه كتابا بعنوان " الجبر والمقاله " لم يذكره ابن النديم فى ترجمته له ، وكان هذا الكتاب سببا فى ذيوع صيت الخوارزمى فى علم الرياضيات بعد ذلك ، فقد تم ترجمته الى اللاتنين منذ وقت مبكر ، كما ظل هذا الكتاب فى أوربا أساسا لعلم الحساب حتى عصر النهضة الأوربية . الفهرست ، ص ٣٨٣ ، اخبار العلماء ، ص ١٨٧-١٨٨ ، بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، جـ ١ ، ١٦٣ .

ابن عبد الواحد خطيب حلب الشهير آنذاك .[١] فقد اقتصر ياقوت على ذكر بعض تصانيفه دون التعليق عليها بينما نجد القفطى يفرد لذلك ويشير الى أن ابن عبد الواحد حين قام بتأليف كتابه " اللحن الخفى " انما رجع فيه على علم القرآن ، كما يشير الى ذلك عندما ألف كتابه " المناجاة " .

ويضيف القفطى[٢] فى ترجمته لخطيب حلب أنه كتب بخطه شرحا لكتاب سيبويه لأبى سعيد السيرافى قائلا : " ورأيته عند أولاده بحلب ورأيت فى تركته المخلفه عنه كتاب سيبويه ".

وهكذا كان القفطى جادا فى البحث عن المصادر الأصلية معتمدا عليها فى تدوينه لمعجميه فى التراجم والطبقات .

وقد شجع القفطى على ذلك عثوره على تلك المصادر الهامة والحرص على اقتنائها ، وكما أشرنا من قبل عند حديثنا عن تراجمه فى مجال الرياضيات والفلك فانه قد جمع بين الجد العلمى والعمق والعدالة اذا قورن بغيره ، نلحظ ذلك فى ترجمته لابن الشجرى النحوى أحد أئمة النحاة[٣] ، ونقيب الطالبين بالكرخ فى النصف الأول من القرن السادس الهجرى . يقول عنه : وله معرفة تامة باللغة والنحو

---

(١) أوضح ياقوت أن أصله يرجع الى مدينة الرقة ، وأن أهله انتقلوا الى حلب ، رحل الى الحجاز ثم الى بغداد وروى عن بعض شيوخها ، ثم عاد الى حلب وعاش بها حتى وفاته سنة ٥٧٧ هـ . معجم الأدباء ، جـ ١٩ ، ص ٢٦٤ ، القفطى : انباه الرواه ، جـ٣، ص ٣٥٦ .

(٢) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٥٥ .

(٣) هو أبو السعادات هبة الله بن على بن محمد بن حمزة العلوى كان مولده سنة ٤٥٠ هـ وكان مصبحا حلو الكلام ، حسن السيرة قرأ الحديث بنفسه على جماعته من الشيوخ المتأخرين مثل الحسين بن المبارك الصيرفى وغيره . وقد توفى سنة ٥٤٢ هـ .
القفطى : انباه الرواه ، جـ ٣ ، ص ٣٥٦ .

" وأنه لما أملى أماليه فى النحو أراد ابن الخشاب النحوى (١) أن يسمعها عليه فامتنع عن ذلك ورد عليه فى مواضع منها ". (٢)

ويظهر مدى استيعاب القفطى لتصانيف ابن الشجرى وغيره من علماء النحو وشيوخ اللغة وادراكه لحملتها ادراكا تاما، فهو يعلق على كتاب امام النحاة يومئذ " الانتصار " والذى رد به على ابن الخشاب قائلا : " وهو كتاب على صغر جرمه فى غاية الافادة ولكنه والحمد لله (٣) .

لم يقتصر أمر القفطى فى تراجمه على النقل والتأليف، وانما عمد الى ذكر المصادر ونقد ما ورد فيها، يتجلى ذلك فى ترجمته للأديب ابراهيم بن الفضل الهاشمى حيث قال : " ذكره الحافظ أبو عبد الله بن البيع فى تاريخ نيسابور (٤) ثم فى ترجمته للنحوى ابراهيم بن سفيان الزيادى ، فهو يقول عنه " ورأيت فى بعض كتب المغاربة سفيان ، وقد سماه " شقيرا " وهو تصحيف وانما هو سفيان الزيادى أبو اسحاق النحوى " . (٥)

اهتم القفطى المؤرخ بمعالجة الأخبار وتقصى الحقائق ، وبما كان يشغل العلماء من المؤلفات والتصانيف الهامة وتتبع أخبارها، يظهر ذلك فى تناوله لكتاب " الصحاح فى اللغة " الشهير لمؤلفه

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب، اشتهر بالفقه والرياضيات كذلك ، وتوفى فى الثالث من رمضان سنة ٥٦٧ هـ فى بغداد .
بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، جـ ٥ ، ص ١٦٧ - ١٦٨.
(٢) القفطى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٥٦ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٥٧ .
(٤) انباه الرواه ، جـ ١ ، ص ١٧٤ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ١٦٦ .

اسماعيل بن حماد الجوهرى ، وتعليقه عليه فهو يقول[١] " وهـذا الكتاب الصحاح قد سار فى الآفاق وبلغ مبلغ الرفاق ، ولما دخلت منه نسخة مصر نظرها العلماء ، فاستجودوا مأخذها وقربه ولمحوا فيها أوهاما كثيرة انتدبوا لاصلاحها وزادوا فيها بعض ما لعله أخل به من ألفاظ لغوية لحاجة داعية اليها ، فلا شبهة فى أنه نقلها من صحف فحسف ، وانصرف فى تصريف الكلم برأيه فحرف " .

وقد أثارت أخبار هذا الكتاب القفطى ، فصار يعجب من أهل مصر ومن روايتهم له عن ابن القطاع الصقلى[٢] فهو لا يرى ذلك صحيحا وأن روايته كان ينبغى أن تكون على يد أحد من أهل خراسان ، ويعلق على ذلك بقوله " وقد قيل أن ابن القطاع لما دخل الى مصر سئل عن الكتاب فقال : ما وصل الينا والى العرب ولما رأى رغبة المصريين فيه وكثرة اشتغالهم له ، ركبّ عليه طريقا ورواه لهم ، فنسأل الله الستر والسلامة بمنه وطوله "[٣] .

وبقدر اهتمام المؤرخ القفطى بأخبار الكتب والمؤلفات يبدى اهتمامه بمتابعة أخبار مصنفيها من الشيوخ والعلماء ورحلاتهم العلمية التى قاموا بها ، ويمكن الاستدلال على ذلك فيما أورده حين ترجم للعلامّة النحوى أبى على القالى المعروف بالبغدادى : فهو يقول عنه[٤] " وخرج الى الأندلس الى عبد الناصر الأموى فأكرمه وقدمه ،

---

(١) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ١٩٥ ، آدم متز : الحضارة الاسلامية ، جـ ١ ، ص ٤١٨ .

(٢) هو أبو القاسم على بن جعفر المعروف بابن القطاع الصقلى ، ولد بصقليه فى العاشر من صفر سنة ٤٣٣ هـ درس فى الأندلس وعاش فى بلده شاعرا ولغويا مرموقا ، وعندما هاجم النورمانديون صقليه ذهب الى مصر وأقام بها حتى دفن بالفسطاط سنة ٥١٤هـ . بروكلمان : تاريخ الادب العربى ، جـ ٥ ، ص ٣٤٦ .

(٣) انباه الرواه ، جـ ١ ، ص ١٩٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

وصف له ولولده الحكم المستنصر ، وبث علومه هناك ، وهو صاحب كتاب " النوادر والأمالى ، ذكر القفطى أنه أملاه ظاهرا عن قلبه بجامع الزهراء بقرطبه وارتجل تفسير ما فيه .(١)

كما يتضح اهتمامه أيضا حين ترجم لأحد معاصريه من الكتاب المعروفين ونعنى به الكاتب أسعد بن مهذب بن مماتى ، فأوضح أنه تولى ديوان الاقطاعات المدة الطويلة سالما فى نفسه وجاهه وماله (٢) واستمر على تلك الحال الى أن تولى أمر الديوان عبد الله ابن على الدميرى ،(٣) فتبدل الأمر وساءت به الحال ، فخرج من مصر مختفيا وقصد حلب ، فاكرم القفطى وفادته ، وقد ذكر ياقوت أنه عنده مدة وذلك سنة ٦٠٤ هـ وأنه لما عرف الملك الظاهر غازى بأمره أجرى عليه فى كل يوم دينارا صوريا ، وثلاثة دنانير أخرى أجره داره .

ومما يثر الانتباه أن القفطى حين ترجم لابن مماتى ، لم يذكر شيئا عما وقع منه من كرم الضيافة أو شموله بعطفه ، وذكر على الرغم من نزوله فى ضيافته فترة وايوائه اياه بعد فراره من وجه صفى الدين عبد الله بن على وزير الملك العادل أبى بكر بن أيوب حينذاك .

ويصف القفطى حال ابن مماتى صاحب كتاب "قوانين الدواوين"

---

(١) انباه الرواه ، جـ ١ ، ص ٣٠٩ ، بروكلمان : تاريخ الادب العربى ، جـ ٢ ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٢) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ .

(٣) من قرية دميره بالوجه البحرى واليها ينسب الوزير صفى الدين عبد الله بن على وكان وزير العادل أبى بكر بن أيوب ، ثم وزر لولده الكامل ، ومات وهو على ولايته سنة ٦٢٢ هـ .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٤٧٢ .

(٤) معجم الأدباء ، جـ ٦ ، ص ١١٦ - ١١٧ .

المعروف بمدينة حلب فيقول[١] فلم يجد بغيته وأخفق مسعـــاه وأجدب مرعاه وعاش بشجاه الى أن أدركته الوفاة ، ويبدو أنه كان يتوسم لدى أمير حلب ومليكها الظاهر غازى الوساطه من أجل استرداد منصبه وسلطانه ، ولكنه أخفق فى تحقيق غايته[٢] ، مما يدل عـــلى صحة الأخبار التى أوردها عنه مؤرخنا القفطى وزير حلب وعالمهـــا آنذاك .

وكما بذل القفطى عنايته فى ذكر أخبار الكتاب وأرباب اللغة والنحو وما كانوا يكابدونه من سوء المنقلب أحيانا كابن مماتى، فانه حرص على بذل جهده العلمى فى تراجمه لمن أقام بحلب مـــن شيوخ العلم والأدب ، وممن اجتازوها الى غيرها من البلدان والأقطار الاسلامية حتى عصره .

نذكر من هؤلاء الذين ترجم لهم القفطى النحوى الأديب زيد ابن على النحوى الفارسى ، يشير الى ذلك مؤرخنا فيقول :[٣] وخـــرج من فارس الى العراق وقصد الشام واستوطن حلب لاقراء النحو بهـــا ، فقرءوا عليه واستفاد أهلها منه وهو صاحب كتاب " الايضاح كمـــا يذكر القفطى من أخبار الشيوخ الذين اجتازوا حلب من أرباب اللغة والنحو سليمان بن محمد بن سليمان الخلى اليمينى ، يقول عنه[٤] وسمعت أنه اجتاز بحلب فى شهور سته سبع وعشرين وستمايه ، واجتمع بنحاتها فلم يجدوا عنده شيئا يوجب التصدر " ولم يلبـــث أن عاد الى مصر وكان الملك الكامل يحضر مجلسه وكان له غرام بعـــلم النحو كما يقول القفطى " ويكره نحاة مصر ، فقرب هذا الغريب على بعد داره ، وقرر له معلوما هو بالنسبة الى العدم قريب ،

---

(١) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ .

(٢) كانت وفاة ابن مماتى فى سنة ٦٠٦ هـ أو ٦٠٧ هـ = . المصدر السابق ، ص ٢٣٤ ، بروكلمان : المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص٨٦.

(٣) انباه الرواه ، جـ ٢ ، ص ١٧ .

(٤) نفس المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢ - ٢٣ .

فقنع به المذكور .

وهكذا لم يغفل القفطى فى تراجمه لهؤلاء الشيوخ عن تحرى أخبارهم العلمية وصلاتهم بالملوك والحكام، فضلا عن اهتمامه بموقفهم من الفرق والمذاهب المختلفة، يتضح ذلك فى ترجمته للعالم القيروانى سعيد بن محمد الفسانى النحوى[١] فهو يقول عنه[٢] وكان لسعيد بالقيروان فى أول دخول الشيعة مقامات محمودة، ناضل فيها عن الدين وذب عن السنن، حتى مثّله أهل القيروان فى حالته تلك بأحمد بن حنبل أيام المحنة، وكان يناضلهم ويقول قد أوفيت على التسعين، وما بى الى العيش حاجة ولابد لى من المناضله عن الدين، وأن أبلغ فى ذلك عذرا ففعل " .

ويتجلى ذلك أيضا فيما ورد فى ترجمته لأحد علماء مدينة قفط - مسقط رأسه - وهو الفقيه النحوى شيث بن ابراهيم بن الحاج يذكر المؤرخ القفطى أن أهله كانوا أهل قرآن وخير وصلاح وأصحاب سنة وجماعة، أرباب تعصب فى ذلك، وأنهم كانوا يتظاهرون بمذهبهم السنى أيام الدولة العلوية القصرية ويعنى بهم حكام الدولة الفاطمية أصحاب المذهب الفاطمى المغاير لمذهبهم .[٣]

ويشير القفطى الى مكانة ابن الحاج[٤] حينذاك ومنزلته

---

(١) يذكر القفطى أنه كان أستاذا فى كل فن عالما بالعربية واللغة والجدل، ومن تصانيفه كتاب " توضيح المشكل فى القرآن " وكتاب " المقالات " رد فيه على المذاهب أجمعين وغير ذلك من التصانيف . انباه الرواه : جـ ٢، ص ٥٣ .

(٢) المصدر السابق، جـ ٢، ص ٥٤ .

(٣) المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧٣ .

(٤) كانت له بقفط حارة تعرف بحارة ابن الحاج انتقل فى آخر عمره الى مدينة قنا وأقام بها وذلك لاشتهار كلمة السنة الى أن توفى سنة ٦٠٠ هـ . المصدر السابق : جـ ٢، ص ٧٣، الادفوى : الطالع السعيد، ص ٢٦٤ .

لدى القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى فذكر فى ترجمته أنه كان يعظم ذكره ويقبل اشارته فى حق من يشفع فيه وله مكاتبات ومخاطبات يشهد بها ترسله ومكاتباته اليه .(١)

كما يذكر القفطى من الذين اجتازوا مدينة حلب الرحالة المعروف عبد اللطيف البغدادى الذى قام بزيارته لمصر فى العقد الأخير من القرن السادس الهجرى ثم توجه الى حلب فنزل بها، ولكنه لم يحط باهتمام مؤرخنا القفطى أثناء فترة اقامته بها، فلم يلبث أن غادرها الى دمشق ، وصار يتردد عليه كثير من طلاب العلم وغيرهم من المشتغلين بالطب حينذاك .(٢)

وقد وجه القفطى النقد الشديد للبغدادى فهو يقول عنه " واجتمعت به واختبر به فيما يدعيه كالاعمى الذى يتحسس ويدعى حدة المنظر ، وما وثقت من روحى بذلك حتى سألت جماعته من أهل العلوم متفرقه قد كان يدعيها فذكروا من أمره بعد نظره وكلام تطير ما علمته منه " .(٣)

ومهما بلغ نقد القفطى للرحالة الطبيب عبد اللطيف البغدادى واتهامه اياه بالغفلة والبعد عن الموضوعية، فقد كان هو الذى سبقه بالاشارة الى مسألة هامة شغلت المؤرخين فى العصر الحديث وهى مسألة احراق مكتبة الاسكندرية والقاء التبعية فى ذلك على عمرو ابن العاص وذلك دون ذكر مصدره الذى رجع اليه فيما دوّنه فى كتابه " الافادة والاعتبار " فقد كان أول من أشار الى ذلك من المؤرخين المسلمين .(٤)

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٢) الافادة والاعتبار فى ذكر الأمور المشاهدة، المقدمة، ص ١٢، نشر سلامه موسى .

(٣) بول غليونى : عبد اللطيف البغدادى ، ص ٢٥ .

(٤) الافادة والاعتبار ، ص ٧٤ .

فهو يتحدث عن قيام عمرو بن العاص باحراق تلك المكتبة ، وذلك عند وصفه لعمود السوارى بالاسكندرية ، وما بقى حوله من تلك الأعمدة التى كانت تحمل ذلك الرواق الذى كان يدرس فيه أرسطوطا ليس وشيعته من بعده .(١) ويشير الى ذلك صراحة فيقول(٢) وفيها كانت خزانة الكتب التى أحرقها عمرو بن العاص باذن عمر رضى الله عنه " .

ومن الجدير بالذكر أن عبد اللطيف البغدادى الذى نقل هذه الرواية قد قام بتأليف كتابه المذكور وما احتوى عليه مما شاهده من آثار مصر سنة ٦٠٠ هـ ، وذلك قبل قيام المؤرخ القفطى بتصنيف معجمه بحلب فى العقد الثانى من القرن السابع الهجرى.(٣)

وعلى أية حال فان القفطى لم يسلم من توجيه النقد اليه فى منهجه التاريخى ، وذلك على الرغم مما بلغه من غزارة العلم وسعة المعارف ، وكان عليه أن يتجنب المزلات والمغالط ، ولا يعتمد فى ذكر الأخبار على مجرد النقل - كما يشير ابن خلدون (٤) - ولاسيما فيما أفاض فيه حول الفيلسوف يحيى النحوى ، فقد نقل ما كان من أمر اتصاله بعمرو بن العاص وطلبه اياه تسليمه ما فى خزانة الكتب من كتب الحكمه ، ولكن عمرا رفض أن يفعل ذلك الا بعد أت يستأذن من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . ويمضى

---

(١) لم ترد اشارة واحدة عن زيارة ارسطوطاليس للاسكندرية وذلك فى ترجمة كل من ابن النديم والقفطى له كما أعد نقولا يوسف دراسة وافية عن أعلام الاسكندرية ، ولم يرد ذكر الفيلسوف اليونانى أو قيامه بالتدريس فى ذلك الرواق المشار اليه ، وكانت وفاته فى آخر ايام الاسكندر . الفهرست ، ص ٣٤٩ .

(٢) عبد اللطيف البغدادى : الافادة والاعتبار ، ص ٤٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٧٦ ، ياقوت : معجم الأدباء ، جـ ١٥، ص ١٨٧ .

(٤) المقدمة ، ص ٧ .

القفطى[١] فى نقل روايته دون الاشارة الى مصدرها فيقول " فـــورد عليه كتاب عمر يقول فيه : وأما الكتب التى ذكرتها فان كان فيهـا ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنه غنى ، وان كان فيها مايخالف كتاب الله فلا حاجة اليها - فقدم باعدامها ، فشرع عمرو بن العاص فى تفريقها على حمامات الاسكندرية وأحرقها فى مواقدها وذكـــرت عدة الحمامات يومئذ ، وذكروا أنها استنفدت فى مدة سنة أشهر".

ولاشك أن القفطى كان ناقلا لتلك الأخبار التى ذكرها فى ترجمته للفيلسوف المصرى يحيى النحوى الذى يجمع المستشرقـــون والمؤرخون المحدثون على أنه عاش فى القرن السادس الميلادى ، وأنـــه لم يكن حيا عندما قدم عمرو بن العاص بجيشه لفتح الاسكندرية عاصمة الديار المصرية فى منتصف القرن السابع الميلادى .[٢]

وليس دفاعا عن القفطى الذى احتل كتابه " اخبار العلماء" مكانا بارزا بين كتب التراجم ومعاجم الحكماء وغيرهم من أهل العـلم فى العصور الوسطى ، كما شغل كتابه " انباه الرواه " حيزا هاما فى المكتبة العربية والاسلامية ، فان المقريزى[٣] تلميذ ابن خلدون صاحب المنهج السديد فى كتابه التاريخ ، ينقل لنا نفس الروايـــة ، وذلك عند حديثه عن عمود السوارى بمدينة الاسكندرية ، ويذكر أن هذا العمود من جملة الأعمدة التى كانت تحمل رواق أرسطوطاليس الذى كان يدرس به علوم الحكمة ، وأنه كان دار علم ، وفيه خزانة الكتب التى أحرقها عمرو بن العاص " .

لاشك أنه مما يعيب القفطى أنه لم يذكر شيئا عن ذلك المصدر

---

(١) اخبار العلماء ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٢) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٣٦٣ - ٣٦٨ ، ابراهيم جمعة : جامعة الاسكندرية والنقل عنها وتأثر الفعل العربى معلومها ، ص ٢١٦ ، حسن ابراهيم : التاريخ السياسى ، جـ ١ ، ص ١١٤ - ١١٥ .

(٣) الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٩٦ .

الذى استقى منه ذلك الخبر الذى أفاض فيه، فذكر من التفصيلات مالم يذكره غيره من المؤرخين والتى عمل ابن العبرى على نقلها كاملة على سبيل التأكيد فى وقوع مثل هذا الحادث المؤسف .

وقد برهن البحث التاريخى على عدم وقوعه، فان ذلك الحدث تناوله كثير من المؤرخين والمستشرقين بالبحث والتحليل ، وأثبتوا عدم صحته وأنه كان محض افتراء على القائد عمرو بن العاص فاتح مصر ، وعلى سياسة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نحو تراث الأقدمين .(١)

وثمة ملاحظة أخيرة، فان ضياع معظم التصانيف التاريخية التى ألفها القفطى أمر لا يتيح الفرصة كاملة للحكم على منهج الكتابة الذى سلكه فى مجال التدوين التاريخى خلال النصف الاول من القرن السابع الهجرى .

---

(١) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

مصادر البحث

أولا : المصادر العربية :

١ - ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن على الجرزى (ت ٦٣٠هـ)
- الكامل فى التاريخ ، المجلد العاشر ، طبعة بيروت ١٩٨٧م .

٢ - الادفوى : كمال الدين جعفر بن ثعلب (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
- الطالع السعيد فى أسماء نجباء الصعيد ، تحقيق سعد محمد حسن ، طه الحاجرى ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م .

٣ - حاجى خليفه : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، ط.مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٦ هـ .

٤ - ابن حزم : أبو محمد على بن سعيد بن حزم الأندلسى (٤٥٦هـ)
- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، طبعة دار المعارف ، الثالثة ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م .

٥ - ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)
- المقدمة ، مطبعة الحاج عبد السلام محمد بن شقرون.

٦ - ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبى بكر (ت ٦٨١هـ)
- وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، نشر دار الثقافة ، بيروت .

٧ - الزبيدى : أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسى المتوفى (٣٧٩هـ)
- طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم ، ط. الثانية ، نشر دار المعارف ، ١٩٧٣م .

٨ - السخاوى : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ)
- الاعلان بالتوبخ لمن ذم التاريخ ، نشر دار الكتاب

العربى ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٩ - ابن سعيد المغربى وآخرون :
- النجوم الزاهرة فى حلى القاهرة ، تحقيق حسين نصار .

١٠- أبو شامه : شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدس
- كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النوريه والصلاحيه ، الجزء الأول ، القسم الثانى ، تحقيق محمد على محمد ، محمد مصطفى زياده ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

١١- السيوطى : جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١هـ)
- حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، جزءان ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، نشر دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

١٢- عبد اللطيف البغدادى :
- الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهده والحوادث المعانيه بأرض مصر ، نشر سلامه موسى .

١٣- القفطى : جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف (ت ٦٤٦هـ)
- اخبار العلماء باخبار الحكماء ، طبعة مطبعة السعادة ، القاهرة .
- انباه الرواه على انباه النحاه ، ثلاثة أجزاء تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط. دار الكتب المصرية ، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م .

١٤- المقريزى : تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)
- المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، الأجزاء الثلاثة ، طبعة دار التحرير عن طبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هـ .

١٥- ابن النديم: محمد بن اسحاق ، المتوفى سنة ٣٨٣ هـ/٩٩٢م
- الفهرست ، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٨ م .

١٦- ياقوت الحموى : الامام شهاب الدين أبى عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩ م)
- معجم البلدان ، المجلد الثانى ، الناشر احياء التراث العربى ، بيروت .
- معجم الأدباء ، الجزء الأول ، الجزء الخامس عشر ، طبعة دار المأمون ، القاهرة .

ثانيا : المراجع الحديثه والأجنبيه :

١٧ - ابراهيم جمعه :
- جامعة الاسكندرية والنقل عنها وتأثر العقل العربى بعلومها ، القاهرة ١٩٤٤ م .

١٨- أحمد رمضان أحمد :
- تطور علم التاريخ الاسلامى حتى نهاية العصور الوسطى نشر الهئية المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ١٩٨٩م .

١٩ - أدم متز :
- الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ،جزءان، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ، ط.الثالثة ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

٢٠- السيد الباز العربى :
- مصر فى عصر الأيوبين ، مطبعة الكيلانى ، القاهرة ١٩٦٠ م .

٢١- السيد عبد العزيز سالم :
- التاريخ والمؤرخون العرب ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٧ م .

٢٢- الفريد آج بتلر :
- فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٣ م .

٢٣- بروكلمان (كارل) :
- تاريخ الأدب العـ ، الأجزاء الثلاثة الأخيرة ، ترجمة السيد بكر ورمضان عبد التواب، الطبعة الثا دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٣م.

٢٤- بول غليونجى :
- عبد الـ ـادى طبيب القرن السادس الهجرى نشر المصرية والعامة للكتاب ، ص ١٩٨٥.

٢٥- حسين محمد سا :
- العربى الاسلامى ، دراسة تاريخية مقارنة ع دار الشعب ، القاهرة ١٩٨٧ م .

٢٦- دائرة ا رف الاسلامية :
- الجزء الأول ترجمة ابراهيم زكى خورشيد واخرين القاهرة .

٢٧- سعيد عاشور :
- الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦ .

٢٨- على الخطيب :
- القفطى حياته وأدبه، دار المعارف ، ١٩٨٣م.

٢٩- عبد السلام هارون :
- معجم مقيدات ابن خلكان ، نشر مكتبة الخانجى، نشر مكتبة الخانجى ، القاهرة .

٣٠- أبو الفتوح محمد التوانسى :
- ياقوت الحموى الجغرافى الرحالة الأديب ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب والنشر ،القاهرة ١٩٧١.

٣١- قاسم عبده قاسم :
- الرؤية الحضارية للتاريخ ، قراءة فى التراث التاريخى العربى ، نشر دار المعارف ، ط. ١٩٨٥ م .

٣٣- محمد جمال سرور :
- تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ط. الثالثة دار الفكر العربى ، القاهرة .

٣٤- Ahmed Issa; Histoire De Bimarstans, Lepoque Islamique Le Caire, 1929.

٣٥- The Leqacy of Greece, Edited by R. W. Livingston, Oxford, 1921.

٣٦- G. Willson; Great Men Science, New York, 1942.

٣٧- Leclerc ; Le D. R. Lucien; Histoire DE La Medecine Arabe. Paris. 1876.